مقاضاة حب

نانسی سامی

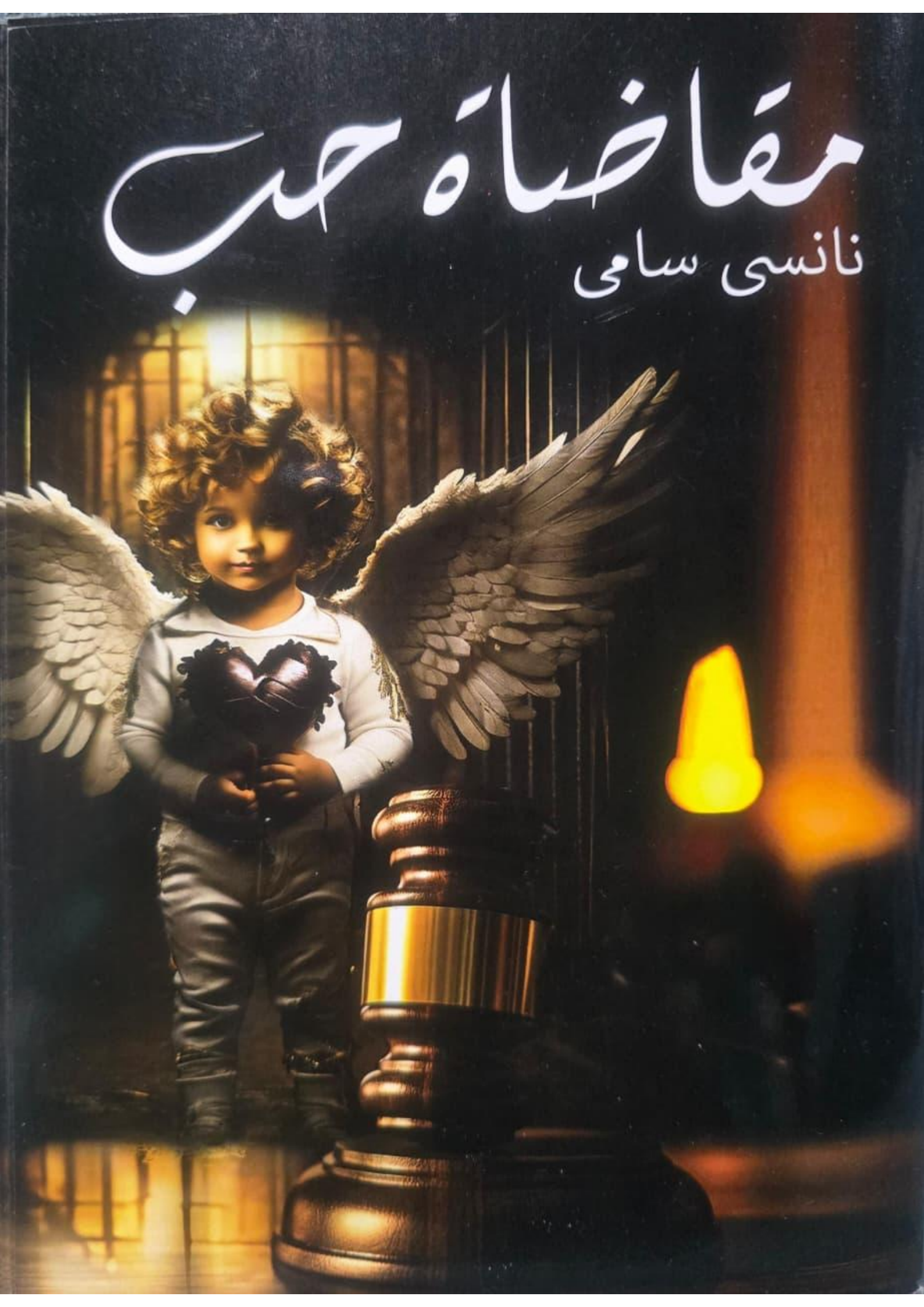

محاكمة حب

مقدمة

ان كنت قد تأذيت من الحب فأهلا بك فى قاعة المحكمة ،ها أنت الآن سترى من أذاك وكان سبب فى ألمك وهو يُحاكم

وإن كنت ذُقت حلاوته وتعرف كيف تتمتع به، فمرحبا بك هنا ستجد من يدافع عنه حتى مع وجود المُضادين له.. وربما سنستعين بك كشاهد لتنقذه شهادتك من وطأة ما..فكن مستعدا

إهداء

إلى كل من ساهم فى إحباطى..شكرا لك انا هنا بفضل التحدي الذى اقمته مع نفسي بسببك

إلى كل من لم يشجعنى..تحياتى لك ،فها أنا أرسل باقاتى لك من خلال سطورى هذه

إلى كل من لم يؤمن بى..أشكرك فلولا هدمك لم اكن لاضعه تحت قدمى واعلو حتى ساعدنى على الوصول سريعا

خالص شكرى ومحبتى لصديقتى التى آمنت بى،خالص امتنانى لمن وهبنى وقته وتبنانى ليساعدنى دون مقابل

شكرا لكل من جمعتنى به محبة صادقة خالصة ليخرجوا موهبتى للنور....

صوت كالرعد ينادى :محكمة

قفز الجميع وقوفا

أين أنا؟

ما الذى أتى بي الى هنا؟

من أتى بي؟

أسئلة أجهل إجاباتها

وجدت ثلاثة أشخاص يضعون شارة طويلة تلتف حول كتفهم لتصل الى اخر خصرهم

كل منهم كان يعلم مكان جلوسه ،وكانت منصتهم اعلى من باقي الجموع

ثم رأيت شخصا اخر يتنحي جانبا أظنه هذا الذي يدعى وكيل نيابة

ثم

وجه القاضي أمرا للحاجب بان يعلن عن القضية ، وبالفعل نفذ وقال بصوت عال مسموع لكل الحضور

- القضية الاولى المتهم فيها "الحب"

اندهشت جدا مما سمعت هل سيحاكمون الحب؟! مشاعر الحب؟! كيف؟!

نظرت بعيني داخل قفص الاتهام لاجد طفلا وجهه مضئ بطريقة مريحة جميلة ملائكية وقد ظهر جناحين صغيرين مرسوم على طرفيهما قلب احمر تكاد تراه ينبض من فرط الحياة الموجودة داخل ذاك الوشم المطبوع او المحفور او ربما رسمة زينت الجناحين..لا اعلم تحديدا لكنه يمتلك منظر مبهج

يرتدي جلبابا ابيض اللون ،أما عن وجهه ف الحمرة صديقة وجنتيه وفمه الصغير الذي يتوسط وجهه قد زاره الدم وسكن شفاهه..عيناه ارتسمتا

كدائرة تتوه داخلها فلا تعرف بدايتك من نهايتك لونهما صافي لكن يصعب عليك تحديده...شعره البنى اللون ملفوف كالخواتم المتداخلة بعضها داخل البعض،يحتضنون بعضهم وكأنهم يخشون ان يترك احدهما الاخر

وجه القاضي سؤالا مباشرا له عن اذا ما أتى معه احدا ليترافع عنه، هز رأسه نفيا...الغريب انى ظننت ان كونه طفلا سيجعله مكسورا حزينا الا ان ما بدا لى كان عكس تماما ما توقعت

فهو طفل وقفته تملأها الشموخ،احتلته ثقة عارمة، رأسه مرفوع...جعلنى فى غاية الذهول

وجه القاضي سؤالا يحمل في طياته إتهاما له بانه سبب ضعف للنفس البشرية وإنه إن تملَك من القلب فيكون كأسد زائر يقضي على صاحبه ،أنهى القاضي حديثه بأن هذه الاتهامات تم توجيهها له من قِبل بعض المتضررين منه

جاء رد الحب في غاية الثبات متعجبا قائلا: أتحاكموننى على إنى امتلك القلوب؟ أتحاكمونني لانى أملأها رحمة وسكينة وتسامح؟ على ماذا أُحاسَب؟!

ابلغه القاضي انه سيعلم كل شيئا بوضوح حينما يعرض الشهود شكواهم، وحينما يلقي علينا وكيل النائب العام الاتهامات التى قُدمت ضده ، ثم اذن للنائب بالتحدث.

بصوت مرتفع شامخ وقف ذاك الرجل قائلا:

- بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى القاضي حضرات المستشارين، ان الله احثنا على ان نحكم بالعدل وألا نظلم كي لا نُظلم ...اليوم نحن بصدد شيء يعتصر قلوبنا
شيء اصبح هو المتحكم في نفوس البشر... تغلغل بمنتهي القوة وفى قمة الدهاء ليحتل قلوب ونفوس الانسانية دون ان يترك للعقل مكانا ، بل ازاحه خارجا ودفعه بعيدا عن ساحة القتال
هذا المجرم الذي دغدغ مشاعر الكثير وابكى الملايين وأتخذ من الكلام المعسول ستارا ليخفي وراءه الألم والعبث الذي صدر منه
إن الأوراق التى بين ايديكم الان ليست اوراق قضية فحسب، إنما هي سفينة حياة الانسان باكمله ومن امامكم فى قفص الاتهام هو من يريد ان يغرق تلك السفينة
والان نحن بايدينا إنقاذ البشرية او تركهم للغرق
ان المتهم الماثل أمامكم الان قد تسبب في العديد من الإيذاء النفسي وربما الجسدى ايضا للكثيرين
سيادة القاضي الموقر حضرات المستشارين الاجلاء قضيتنا هذه تدور في ثلاث محاور رئيسية اولهما هم المجني عليهم وهم نفسهم الشهود وهذا ثان محور والمحور الاخير هو المتهم
ولقد جاءت اقوال الشهود فى التحريات كلها ضد المتهم ولكنى اريد من هيئتكم الموقرة الاستماع إليهم

ظللت استمع الى تلك الكلمات وتملكتنى الدهشة أكل هذا فعله "الحب"؟ اقصي شئ اعرفه عن الحب انه ذاك المشاعر الجميلة التى تصيب القلب بمنتهي الرقة لنذوب داخل من احببناهم
ربما لم ننجح فى ان نكمل علاقاتنا معهم، وان هذا ليس ذنب الحب بل يحدث بسبب خطأ ما اقترفناه نحن...
قطع شرودى صوت القاضي وهو يطلب ان ينادى الحاجب على الشاهد الاول

ليأتى واقفا فى مكانا مخصص له ويجيب على اسئلة القاضي

"شريف" كان أول شهود تلك المحاكمة الغير تقليدية وبدأ فى سرد حكايته حينما أذن له القاضي بان يسردها بعدما ألقى يمين ان يقول الحق

كان لشريف قوة خفية اعطاها له الله منذ زمن بعيد ، لم يقدرعليه احدا... كان مثل عنترة ابن شداد فى عصره

كان فتى قويا استخدم قوته هذه ف الخير، لم يكن احدا يعلم ما سر تلك القوة الخفية مع تأكدهم التام ان هناك سرا ما لم يرد صاحبها الافصاح عنها

أراد أعداء شريف ان يعرفوا سر قوته حاولوا معه مرارا وتكرارا الا انهم لم يتوصلو لشئ ، إلى أن وجد.....

"دلال" تحتار هل هذا مجرد اسم ام هى صفة متأصلة بها، "دلال" وهي فعلا تمتاز بالدلال والنعومة ، إمرأة تعلم جيدا كيف تجعلك تتعلق بروحها وكيانها فقط من نظرة واحدة... لم استطع الخضوع لنداء عقلي ووقعت فى فخاخ حبها، نعم احببتها من كل قلبي ،لا اعلم ان كانت بادرتنى نفس الحب ام لا لكنى احببتها.... لم تكن ملكا لى وحدى!!

هنا بدأت استمع الى اسئلة دوت في قاعه المحكمة "ماهذا" "كيف"وهناك من فهم مغزي الكلام فكانت شهقته مدوية فى المكان، ماحدث لم يرق للقاضي فانتهر الجميع وامرهم بالسكوت

ثم اردف شريف كلامه بان دلال كانت مهنتها ليلا فى إحدى المقاهي الليلية ، وعلى الرغم مما هي عليه إلا انه احبها واراد ان يبقي بجانبها دائما...

وفى يوم اتفق أحدا من أعداء شريف مع دلال ان تبقي معه الليل كله وتحاول ان تستدرجه ليخبرها عن سر تلك القوة التى وُهبت له وذلك مقابل مبلغ مادى كبير جدا، ووافقت دلال وبدأت فى تنفيذ اتفاقها

بدا التأثر على شريف وهو يقول :

فقد أتت لى وبدأ دلالها يغشي الكون كله من حولى وحاولت مرارا وتكرارا ان تعرف سر قوتى تلك لكنى لم اعط اجابة واضحة وصريحه وفى كل مرة يزداد دلالها كنت اعطى معلومة الى ان أفصحت بكامل ارادتى عن سري الدفين الذى لا يعلمه سواى... ولم تتردد دلال لحظة واحدة فى ان تخبر اعدائي وتفضح سرى، واستغلو هذا السر ليضعفوننى واصبحت اسيرا لهم.

نكس رأسه وقال بصوت يذبحه الحزن: لكنى احببتها بصدق ، ربما فى بداية الامر حبي لها ونظرتى لها كمثل باقي الرجال حينما يشتهون فتاة تتردد فى تلك الاماكن التى تذهب لها...لكن ايقنت بعد ذلك ان هذه الشهوة ما كانت الا وقتية وتحولت الى حب حقيقي وهى علمت هذا ولكنها لم تهتم بهذا القلب الذي عشقها.

اى ذنب اقترفت ليؤول بي الحال الى ذلك؟! لا استطيع نسيانها ولا اعرف كيف احب مرة ثانيه.. انا ارى جميع النساء هي بل لا يوجد نساء ف هذا الكون سواها

أظن إننى اخطأت من البداية لانى احببت انثي ربما انعدمت ثقتها فى جميع الرجال لانها تعلم ان لا احدا سيحبها الا ليأخذ منها شيئا يحتاجه لسد شهوته، ولكنى قدمت لها الكثير لاثبت مدى صدق حبي لها ولكنها ايضا رفضت النظر الى تلك الافعال.. كنت اعلم انها تريد ان تعرف سري لتبيعه بأغلى الاثمان ومع ذلك لم استكتره عليها وكنت على علم باننى سأُذي فور اعلاني لهذا الا اننى افصحت

انا بالحق احببتها ... ذنب من هذا؟! ذنب من؟

تأثرت من لهجة شريف وكلامه عن من احبها ولسان حاله يقول انه حتى وان عاد به الزمن سيختارها حبيبة وسيضع قلبه بين يديها مرة اخرى، كيف يسيطر الحب هكذا علينا؟! ربما لم يتألم شريف من خسارته لقوته

واستعلاء اعداءه عليه بقدر حزنه على حبه لدلال التى لم تبادله نفس الشعور بنفس القوة.

تخلصت من أفكارى هذه حينما هاجم وكيل النائب العام الحب وطلب من القاضي ان يسجل اعتراف شريف بأن الحب اهلكه وبسببه اصبح ضعيفا

بدا لى كلامه منطقيا مع اننى ارى انه يريد ان يهاجم الحب فقط، لكن جميع حُججه كانت قوية ومقنعه بالنسبة لى

لو لم يحب شريف دلال لأصبح على قوته ولم يستطع احد ان ينال منه.. اذا من أذاه هو حبه !

كنت انتظر ان يتحدث الحب لكنه صمت، كنت اود ان يدافع ويقول اى شيئا لكن فضل الصمت مع شموخ رأسه.. خاصة بعدما وجه اليه القاضي سؤالا اذا ما اراد ان يقول شيئا ؟ لكنه رفض

ثم وجدت القاضي ينتظر ان يعلن الحاجب عن الشاهد الثاني والذي على صوته بمناداته : عادل

طلب القاضي مثلما يطلب من جميع الشهود ان يقول كلمة الحق، وبالفعل أقسم

عادل رجل فى ريعان الشباب يمتلك منصب هام ف الدولة ، رجل قيادى لا يحب التوجيه من احد يريد ان يفعل كل ما يريد دون تنبيه او إنذار من احد مستغلا نفوذه في كل شئ لصالحه ...

كان لدى عادل أخ توفاه الله وكانت زوجة اخيه جميلة فحسُنت في عيني عادل وهي ايضا احبت نفوذه وطمعت فى مركزه، اراد عادل ان يتزوج

منها ولكن قُبل طلبه بالرفض من جميع عائلته ومن المجتمع ، مجتمعه لم يعترف بزوجة الاخ سوى انها اخت لاخ الزوج ...

محال ان يحدث وان يجمعهما القدر سويا إلا انه عاند الجميع وإنساق وراء رغبته بها وحبها الذى تملك قلبه ، حتى إنه صعُب عليه ان يستر مشاعره التى سبقته الى جميع من حوله.

زادت المقابلات والتجمعات ولم يهتما لاحد، الى ان تحدث معه احد الملتزمين المتدينين حينما علم بامرهما وكان على صلة قرابة قويه بهما...

ولم يبت الامر بخير وحدثت بينهم مشادة كلامية جعلت عادل ترك الحديث ومشى هائما والغضب يتملك عقله... ليجد قدماه اخذته الى محبوبته ليقص عليها ما تم....

وكالأفاعى إستطاعت أن تخمد ثورة الغضب التي احتلته، ولكنها لم تنس ما حدث واخذت تخطط كيف تتخلص من هذا الرجل الذي صاحب كلامه تهديد لعادل بمركزه ومكانته فى المجتمع، الشئ الذي رفضته هي تماما لان إصابة مركزه بالسوء هدم لها شخصيا

اهتدت إلى فكرة شيطانية ولكنها كانت تنتظر اللحظة الحاسمة كى تطرح فكرتها لعادل

الى أن أتى الوقت المزعوم.....

حفل صاخب أقامه عادل من اجل الاحتفال بعيد ميلادها وقد قدم لها وعدا قطعه امام جميع الحضور ان مهما كان طلبها سينفذه لها، وهنا حضر الشر الى عقلها وتوغل في اعماق ذهنها وكان وليد فكرها هذا انها قررت ان تفصح عن خطتها لعادل وتستغل وعده كما كانت تستغل نفوذه لصالحها دائما

اختلت به جانبا وكشفت له عن مكنون عقلها ومرادها الا وهو التخلص نهائيا من ذاك الرجل، ودست سُم افكارها ليمتلئ عقله بكلامها ويتوغل داخله ويحسُن في عينيه، كما انه اراد ان يكبُر في عينيها لانه لن يتنازل عن وعده مهما كانت النتائج

وقررا التخلص منه عن طريق احد المجرمين الذي يزاول موهبته باحتراف حتى لا تتسخ يديه من دمه

وقد كان.. تم التخلص من ذاك البار الذي كانت كل خطيئته استنكاره لكل فكرغاشم لاشخاص تحجرت قلوبهم وتصحرت عقولهم

كانت خطيئته إنه رفض ان يتماشي مع ماهو ضد مجتمعهم وعاداتهم..

نكس الحب رأسه وكله ألم فبدون شك هو لم يرد ان يحدث هذا انما هو فقط شعور عظيم ونبيل لكل من وجهه بطريقة صحيحة تتناسب مع الافكار المتداولة فى زمانهم

ولكنه طلب ان يتحدث ربما كان لديه الكثير الذي يريد إخبار هيئة المحكمة به، صَرح القاضي له بالتحدث

تحدث الحب قائلا: ربما لم يحسنوا التصرف مع تلك المشاعر الراقية ليس لدى اى ذنب يذكر سوى انني اريد المحبة تنتشر بين الجميع، كيف تحاسبونني أًلم تعرفوا ان "الله محبة"...ما بداخلهم لم يكن أنا بل كان شر، شهوة، انتقام، انانية

ثم صمت قليلا وتبدلت ملامحه الحزينة الى ملامح الثقة بالنفس وقال: انا مشاعر حقيقية توضع داخل من عرفونني بالحق وتصرفوا بلغة الحب وحضراتكم افاضل الناس تعلمون ماهي لغاتي اولها العدل الذى وُلى لحضراتكم

ساد صمت لا يتجاوز الثانيتين او ربما ثلاث ثم تحدث القاضي واخبره أنه إذا أحب أحدهم شيئا ما بشدة فإنه ربما يلجأ للشر لينال

مايريده وربما يرمي فعلته هذه على انه احب ذاك الشئ واراد الحصول عليه ايا كانت النتائج....وبناء عليه سيتورط الحب كما هو الحال الان والقانون لا يحمى المغفلين

ثم اردف طالبا من الحاجب ان يهتف بالشاهد التالى..

بالمناسبة ربما تاه عن بالى ان اصف لكم قاعة المحكمة... مهابة المشهد ووقار المكان جعلانى انسي ان اذكره

اضاءات خافتة تزداد حدتها وتسلط على المُتحدث ... إلى الآن تسير المحاكمة فى سير هادئ كنت اخشي فقط ذاك الرجل الذى احتل ركناً بعيدا فقد شعرت انه خصم للحب ومعادٍ له، لا ادرى ربما تأذي بسببه ربما فقد من احب..لا اعلم ولكنه يقف نقيض له بشكل بَيِن

دخل يوسف وكان شابا وسيما جميلا وبدأ فى سرد قصته والتى أثارت دهشتي قليلا قائلا:

كان لدى أربع اخوة كنت اصغرهم ، أحبنى أبي كثيرا ربما اكثر من الباقيين وانا ايضا كنت دائم التعلق بأبي كثيرا ربما لتفضيله لى .. ربما لانه ابي، لا اعلم لكننى كنت احبه كثيرا

كان والدى يميزنى عن باقي اخوتى في كل شئ ، حبه كان ظاهرا وواضحا مما اثار غيرة اخوتى وبدا كرههم لي يظهر ويطفو على سطح علاقتهم بي

وكثيرا ما أتتنى الاحلام اثناء نومى وكنت اخبر اخوتي ووالديا لكن اخوتى حينما كانو يفسرونها كانو يزدادون حنقا علىَ

الى ان اتى يوما.....

وطلب منى ابي ان اذهب حيث مكان عمل اخوتى لاطمئن عليهم وبالفعل ذهبت.. لم اكن اعلم انهم اتفقوا سويا وفكروا فى وسيلة للتخلص مني

تدخل هنا خصم الحب وبصوت جهور: اذا ذاك الحب استدعي شعور اخر سئ ألا وهو الغيرة والتى بسببها تملك الشر عقولهم

هنا لم يستطع الحب ان يظل صامتا لكنه ثار ووجه كلامه اليه قائلا: مَن مِن الاباء لا يحب ابناءه، ربما أحب يوسف اكثر لانه كان بمثابة الطفل المدلل

ما ذنبي انا فى ذلك، ما دخلى انا فى تلك الحماقات التى تستوطن العقل... ربما تحتاجون الى إعادة ترتيب أموركم وتأتون بالعقل هنا بدلا منى.

هاجمه منافسه: انت غير عادل، انت لاتصطحب معك إلا المشاعر الدنيئة الرديئة.. تصب نفسك فى قلب احدهم وتنتزع نفسك من قلب الاخر تتحكم ف القلب وكأنه لك وحدك... تأتى بمن تريد وتطرد من تريد.

هنا تدخل القاضي ليفض النزاع بينهما وامسك بمطرقته ليأمر الجميع...سكووووووت

وألقي الفرصة ليوسف ليكمل حديثه..

لم يكن لى اى إثم فى ان يحبني ابي اكثر من الباقيين، لربما كان من الافضل لهم ان يتحدثو معه لا ان يلقو بي فى المهالك التى حولها الله بعد ذلك لصالحى.

ذهبت حيث اخوتى ووجدتهم هجموا على وانتزعوا منى قميصا جديدا كان ابي اشتراه لي ، شعرت بعجز امام مافعلوه معي ، لم استطع الدفاع عن نفسي

فهم اخوتي ومهما فعلوا بي فهم اخوتي....ثم ألقونى وحدى فى بئر غويط في تلك الصحراء لا اعلم ما هو مصيري ، وما هو تخطيطهم المُقبل

لكنى سمعت اخى الكبير والذي كان يحمل لى حبا استشعره فى كل شيء بالرغم من الغضب الذي احيانا كثيرة يسيطر عليه ربما بسبب كلام باقي اخوتى او عسي يكون لانه هو الاخر يشعر ببعض الغيرة من تفضيل ابي

كى لا اطيل عليكم سمعته يخبر الباقيين ويقنعهم بألا يقتلونني وعرض عليهم عرضا اخر لم استطع سماعه، المهم الا تتسخ ايديهم بدمى .

واتفقوا ان يذبحو تيسا من خرافهم حيث كان هذا عملهم "رعاة غنم".. واخذوا قميصي الذي احببته وملأوه بدم التيس ليقنعو المسكين ابي انه تم قتلى عن طريق وحش من وحوش الصحراء.

لم اكره اخوتى للحظة رغم ما فعلوه معي، لكننى بالحق احببتهم ..لكن غيرتهم تغلبت على حبهم ، واصطحبت معها الشر

ثم قال بحزن مخلوطا بترجى: كنت فقط اريدهم يحبوننى مثلما احببتهم، لا اعلم هل ألوم نفسي على صراحتي فى ان اقص عليهم حقيقة احلامى ام أعاتب ابى لوضوح مشاعره معى مما اثار غضب باقي اخوتى..لا اعلم لكنى كنت اتمنى ان اشعر بحبهم لا بغيرتهم

وجه القاضي نظره الى الحب وحدثه : اعتقد ان فى هذه المرة لا مجال لسؤالك ما ذنبك؟؟ حينما اخذت وضعك فى قلب ابيه تصرفت

بدون اى حكمة بل اغرق طوفانك يوسف واخوته وربما ابيه حينما حرقوا قلبه على ابنه بكذبتهم الحمقاء

رد الحب: دعني اطرح اسئلة واعطيكم اجابات وان كان هناك ردا مخالفا فليجبنى احد

هل كان اخوته بداخلهم حب؟ لا

لو كان بداخلهم لم يفكروا قط بالتخلص منه وقتله

هل ابيهم كان كارها لهم؟ لا

لا يوجد اب يكره اولاده

هل استولت الانانية قلوب اخوته؟ نعم

لان قلوبهم خلت من الحب ولغاته واصدقائه

هل كان للحب دخل فى ان يملأهم الغضب والقسوة والشر؟ لا

لان سماتى ضد كل هذا العبث الذي صدر منهم

اراد غريم الحب مواجهته والرد على اسئلته لكن القاضي منعه بطريقة لطيفة اخمدت فورا ثورته التى ظهرت على وجهه من قبل النطق بأى كلمة

ووجه القاضي وجه الى الحب واخبره: ربما منقذك الوحيد فى تلك القصة هى ان الله حول ذاك الشر لخير لصالحه ولو لم يأذوه إخوته لِما تحقق له النفع.

من التالى؟!

كان انبهارى عظيما بالقاضي فلديه مهارة وذكاء فى قطع وتقصير المواضيع بطريقة حاسمة ومفهومة.. كان هادئا لم يُستَطع استفزازه او جعله يتخلى عن هدوءه بسهولة

ربما ظهر له انبهارى من لمعة عينى حينما يتحدث.. فقد وقعت عينه عليا تكرارا لا اعلم لماذا لكنى احببت هذا.

كان الشاهد التالى فتاة تدعى لميس

كانت جميلة جمال اخَاذ وفور رؤيتي لها وقع نظرى على القاضي لارى ما العلامات التى تملكته حين رآها لكن كان وجهه جامدا لا يعطي اى اشارات

ياا لهذا الغموض!!

لا انكر اصابتي بالقليل من الغيرة لا اعلم لماذا وما مصدرها لكنى حاولت طرد كل مشاعر تحاول اقتحام قلبي

وقفت لميس شامخةً ثابتة قوية فخورة بنفسها ربما علمت سبب فخرها حينما بدأت تقص قصتها:

لم يكن لى احدا يربيني سوى ابن خالى مروان ،وحينما اتى احد كبار بلدة مجاورة لنا للتقدم لى ليتخذنى زوجة له عرض مروان علي الامر ووافقت

وتمت خطبتى له لكنه كان دكتاتوريا ومتمسك برأيه دائما ولا يريد ان يناقشه احدا فى قراراته، ومن يخالف يعرض نفسه للضرر والخطر فهو لا يأبه باى شيء محتميا في نفوذه وسلطانه

عرض عليَّ خطيبي سامى بان ياخذ مروان ليعمل معه ويكون بمثابة اليد اليمنى له، وهذا ما لم يتقبله مراد الذي كان يتحكم فى كل امور العمل لدي سامى بطريقة سياسية كان يتقبلها منه الديكتاتورى

وعلمت فى يوم عن طريق مروان انه سمع مراد وهو يتحدث الى سامي خطيبي ويقنعه بأن مروان مخادع له وسيعرضه للاذي ليس هذا فقط بل انا ايضا ارتب له شيئا يؤذيه بحيث ان يأخذ مروان نفوذه ومنصبه ليس هو فقط إنما أيضا جميع عائلتنا تسعي لذلك... وبما ان كلام مراد مصدق تماما عند سامى فقد قرر سامى حرق أراضينا ومدينتنا ليهدي هذا الحدث لماس كهربائي نتج على اثره اشتعال النيران فى البلدة.

وهنا قررت الا اتخلى عن بلدتي وناسي وايضا سامى.. فى ذلك الوقت كان ممنوعا ان تذهب المرأة الى منزل خطيبها ، فيصيبها العار والمذلة

لكنى لم اهتم لكلام ولا لرأى احدا

ذهبت لسامي والذى اصابته الدهشة حينما رآنى ولكن الغريب إنه رحب بي وكان يريد ان يعرف سبب زيارتى وطلبت منه أن يقبل عزومتى هو ومراد فى منزلنا...أعتلى التعجب والاندهاش عينيه لكنه وافق..

أقمت عشاءاً فاخرا جَميعه من صنع يدي، وجلسا ليتناولا طعامهم وفى تلك الاثناء أخبرت سامي بافتراء مراد علينا بحديثه معه

فتلجلج مراد وسقطت ملعقته من يده ،فقد كان ارتباكه عظيما وواجهته عن طريق مروان بكل شيء، تفاجأ سامي وكان وقع الصدمة عليه شديدا لكنه تماسك وقرر التصرف معه وفعلا قد كان ... بعد عدة ايام وجدنا الشرطة تلقي القبض على مراد لسبب لا نعلمه.

نظر القاضي للحب نظرة تحمل معني الانتصار للحب فى هذه القصة وسأله ان كان يريد التحدث ووافق الحب.. فلهفته على ان يتحدث تخبرك ان لديه الكثير ليخبرنا به

وطلب الحب من القاضي ان يوجه اسئلة للشاهدة فسمح له....

وجدت القاضي حَول نظره لى وظل مسلطا عينه على ولكنى لم استطع تفسير تلك النظرة المبهمة التى تخلو من اى معلومات او مشاعر، وشعرت بالخجل ونظرت للاسفل ثم رفعت عينى لاجد ابتسامة لطيفة رُسمت على شفاهه لتزداد حمرة وجهى .. كان يستغل كل مرة حديث الحب الى احد الشهود ليأخذ استراحة محارب ويأتى الى عيني فيجد سكينته بين جفونى ، هل جميع القضاة يمتلكون ذاك الوجه الغامض ام هذا الشخص هو الفريد من نوعه؟!

ثم اخذنى صوت الحب وهو يسأل لميس: لماذا لم تهربي من البلدة حينما علمتى بقراره إنه سيحرقها؟

- واترك اهلى واهل بلدتي ينالون الموت؟

** معني هذا انك تحبينهم؟

- طبعا،ومن لا يحب اهله ومدينته...انا لست خائنة لشعبي ووطنى

** لماذا لم تتركي سامى بخصاله السيئة الهادمة؟

- لاني احبه ولن اتركه يخسر نفسه،ربما يضع الله في عينه نعمة تجاهي واستطع تغيره للافضل

ثم وجه الحب حديثه للقاضي : ماذا لو كنت لم اتملك من قلب لميس؟

نظر القاضي له بصمت وضيق عينيه قليلا ثم تنفس بعمق وادار وجهه

فقال له الحب: وصلتنى اجابتك الصريحة،اشكرك

لم يكن الحب يتهكم على القاضي ولكن حقيقةَ كانت اجابته واضحة من خلال صمته البالغ..

دخلت إلى ساحة المحكمة سارة.. امرأة في منتصف الاربعين من عمرها او ربما اقل، أعتلت الحيرة والقلق وجهها ولكن ما ان بدأت ف الحديث إلا وذاب هذا الشعور شيئا ف شيئا وربما كانت قصتها صادمة بالنسبة لى، اظن ليست صادمة لى فقط انما لقاعة المحكمة جميعها...

سارة فتاة متوسطة الجمال متزوجة كان نتاج زواجها طفلين بأعمار مختلفة، عاشت معاناه قسوة وإهمال وعنف من زوجها الذي لم يكن يعرف طريقا للحب

كانت امه فقط هى مصدر ثقته، وكانت أنانيتها تغلب عليها .. غذت قلبه بكره سارة حتى تضمن قلب ابنها معها للابد.. حتى ابناءه لم يشعروا يوما بحبه وحنانه عليه كان سريع الغضب، عقله مشلول ولسانه كرباج

عانت سارة كثيرا ولم تجد أين تذهب اليه، كانت يتيمة الاب والام ...لديها اخ واحد لكنه خارج البلاد

مسكينة.. تتقبل الاهانات ولا تنطق.. تتحمل وتصمت.. كل اشفاقها كان على اولادها الذين ليس لهم اى ذنب يذكر سوي ان هذا هو ابيهم

مرت السنين ودارت من حولها لا تزيدها سوي عمر فوق عمرها وانطفاءاً فوق انطفاءها الى ان ذبلت روحها وخمد بريقها

الى ان حدث ما اعاد لها رونق حياتها قبل القضاء عليها...

هنا تغيرت نبرة صوت سارة وهى تروى المتبقي من قصتها ، تحول صوتها من اليأس الى الحياة ، تستطع ان ترى لمعة عيناها وانت فى اخر مقعد فى تلك القاعة الواسعة

فى ساحة المدرسة.. وعند انتظارها لخروج ابناءها تصادف وجود استاذ عماد والذي نُقل حديثا للمدرسة وكان يتحدث الى احد ابناءها فسارعت بالذهاب اليهم خوفا من ان تكون هناك مشكلة تخص ولدها، تجاذبا اطراف الحديث وكان عن عدم احساس الطفل بالامان وانطوائيته بعيدا عن كل اصدقاءه مع العلم نبوغه فى دروسه الا ان نفسيته غير سوية... طال الحديث لاكثر من نصف ساعة وبعدها طلب عماد رقم سارة للتواصل بخصوص ابناءها ومتابعة ما وصلوا اليه.. فهذا عمل الاخصائي الاجتماعي.

كان يتحدث مرة فى اليوم وتوالت المكالمات الى ان اصبحت سارة تنتظر هذه المكالمة والتى كانت بمثابة طوق نجاة لها فأخيرا وجدت من يستمع لها ولشكواها لم تنكر اعجابها به من اول يوم رأته فيه.."فالحب لا يكون باختيارنا فهو وليد لحظة" هكذا بررت سارة شعورها وعبرت عنه

ظلت تفكر فيه كثيرا حاولت مرارا وتكرارا ان تبتعد عن تلك المشاعر التى ربما تكون سبب أذي لحياتها ولكنها فشلت..

صوته، نظراته، حديثه، حنيته عليها وعلى ابناءها، شجاعته....كل شئ فيه كان يجذبها دون رحمة بضعفها وبحالها..

ولكن هل هو ايضا يشعر بتلك المشاعر التى تغلبتنى؟!

لم تكن تعرف اجابة السؤال الذي كان يراودها دائما، الى ان صارحها في يوم انه حبها دون ارادة منه ودون وعي.. فرغم انطفاءها وذبولها الا ان قلبها كان مازال طفلا يحتاج الى الاحتواء يحتاج الى من يضمد جروحه، قلبها كان يشع ولكن لن يراه الا من قرر الدخول فى اعماقه وهو دون ادراك منه وجد نفسه فى منتصفه يتنعم بجماله وطيبته

احب عماد سارة كما هو الحال عندها وكان يغير عليها بشكل جنونى وكان يتمنى لو تخلصت من هذا الزوج الفظ الذي لا يليق بقلبها ولكن،،،

ان تخلصت من الزوج كيف سيتغلبا على اختلاف ديانتهما؟!!!!!

نعم، لم تكن سارة على نفس دين عماد، وكانا على علم بذلك ولكن كيف يتحكما فى ذلك القلب؟

كيف لسارة ان تمنع نفسها بعدما وجدت من يحنو عليها ويهتم بقلبها البائس اليائس؟

"أتعلمون معنى ان يرتجف جسدى من الخوف؟

اقل شئ اصبح يزعج نفسيتي..الخوف اصبح صديق يومي ورفيق حياتى

أأخذه معي ويأتى بباقى اصدقاءه ليلا , إن كان اليأس، الالم، الهلع أوالبكاء ليجتمعوا جميعا حولى ويحتضنوننى اثناء نومى.

أتعلمون معني ان يشعر المرء بغربة وهو داخل منزله مصدر أمانه الوحيد؟!

أتفهمون معني أن اتمنى من الله ألا أرى هذا الرجل الذى كُتب عليَ ان يصبح ابا لأولادى؟!

تمنيت موته.. او ان يصبح رجلا لمرة واحدة ويتركنى اذهب لحال سبيلى، لكنه كان ذكرا فقط... والفرق كبير سيدي القاضي , انت تعلم.

احساس الخوف وتأثيره في نفوسنا وحده قادر على قتلنا، قادر على قتل ارواحنا...انا اقف الان امامكم واخشي ان انظر خلفي لاجده.

لأول مرة في حياتى اذق طعم الامان، استلذ به ولا اشبع من جمال مذاقه

لاول مرة اشتم رائحته، استنشقه ليدخل الى صدرى وينعش ما مات داخلى

اتريدون قتلى بعدما حييت؟!

اتحكمون على بالموت بعدما اقامنى الله من الموت حينما وهبني هذا الذي سجننى داخل قلبه لاتنعم بكل نِعم الحياة؟!

قل لى كيف اعيش بعد ذلك؟!"

نسجت كلمات سارة الدموع داخل عيني واصبحت لا اعلم حقا كيف ستعيش هذه المسكينة بعد ذلك، انا أكره المجتمع وعاداته وتقاليده...ثم تذكرت ان هذه ليس اعراف المجتمع وحسب... انما هذا لا يجوز شرعا.. لم يحلل الدين لهم مشاعرهم هذه..

كيف لها ان تترك القلب الذي احتواها وعرف كيف يحترمها؟!

كيف لعماد ان يتخلى عن قلب احبه، وهو ايضا وجد سلوته بها بعدما تعرض للخيانة مِن مَن اراد مشاركتها حياته بعد حب دام سبع سنوات لينتهي بخيانتها له دامت أكثر من سنتين دون علمه!!!!!

كان من الصعب ان يثق بإمرأة ولا أن يطمئن لأنثي إلا أن سارة حطمت تلك المخاوف بطيبتها، هدوءها، رجاحة عقلها، حكمتها،

صبرها وتحملها، فكان كثيرا ما يغضب الا انها كانت بذكاءها تحتوى ذلك الغضب

أكملت سارة حديثها: ها الان سأقرأ عليكم ما كتبه عماد واراد ان ابلغكم ما بين سطوره:

"انا من وجدتها ، هي من حقى انا...من المستحيل ان يرتبط شخصان بعضهما ببعض من خلال ورقة وعليها امضاءاتهم.. لا يربط الاثنين مجرد عقد ورقي، ما يربط الاثنان ويوثق علاقتهما هو الحب بينهما

انا من انقذت سارة من التفكير فى انهاء حياتها ولولا انها امرأة مؤمنة وانها تعلم ان جميع الاديان حرمت قتل النفس لكنا الان نشيع جثمانها فى مثواه الاخير... حينما تقابلت معها اول يوم كانت منحنية الظهر والاكتاف ولكنها لم تكن تحمل شيئا ملموسا، وبمجرد مشاركتها لى بهمومها وتشاركنا المشاعر، انتصب ظهرها وراقت وجنتيها ولمعت عينيها..

هى كانت تحتاجنى، واحتياجى لها كان اكثر... لقد منحتنى قبلة الحياة... كانت هذه فقط جريمتنا اننا احببنا بعضنا فى مجتمع يرفض هذا الحب

والله لم تخطئ سارة ، فهى امرأة تعرف دينها وتعرف ربها، لديها من الاخلاق والاصل الطيب ما لم اجده فى احد...نحن لم نفعل شيئا يغضب الله بل كان الصراع داخلنا بين ما نريده وما فُرض علينا اقوى من ان نكون فى راحة بال... لو كنا بدون اخلاق لمات ضميرنا وفعلنا ما رأيناه يريحنا ويطفئ شهوتنا فقط...

ظللنا نصارع ولكن غُلبنا امام القلب، وانتصر ما اردناه على المجتمع.."

ثم طبقت سارة الخِطاب الذى تبلل من دموعها وتساءلت :

الان اريد ان اعلم هل انتصار قلبي على عقلى يعد جريمة ؟

هل خروجي عن اعراف المجتمع دون ارادة مني يعد جريمة ؟

هل عدم تحقيق اوامر الدين والنظر الى مشاعرى وانسانيتى، والتجرد من كل معان الحياة لارضاء الاعراف التى وُضعت من قبل مجهول تعد جريمة؟!

اين العدل هنا؟؟ أين؟!

صمتت سارة وصمت معها الجميع بينما انا ظللت افكر لماذا وضع الله تلك المشاعر داخل قلوبهم؟! لماذا سمح بما هو محظور ان يقتحم حياتهم؟

اليس من الممكن ان يغير زوج سارة ويضع فى قلبها القليل من القبول تجاهه؟!

هل سيكون سهلا عليها ان تقطع علاقتها بذاك الشاب بعد ما عرفت معني الحب على يديه؟!

حتى وان قطعت كل الاوصال بينها وبينه كيف ستتخلص من المشاعر التى سكنت قلبها والتى ستعيش بعذابها طال حياتها..ستظل هذه الشوكة التى تنغذ قلبها حينما تتجدد ذكرياتها معه.

اين العدل؟!

كان الانهيار سبق سارة وبات هذا واضحا فى عينيها وصوتها...ثم سريعا تدخل الحب ليخفف من وطأة الموقف الذى وُضع فيه

وحول اليها كلمات امتلأت بالهجوم ووجهها اليها، فكيف لها ان تترك نفسها لتلك المشاعر لماذا لم تسارع بالهرب منه؟ هي من اذنبت لانها اعطت فرصة لدخول الخطأ حياتها

فقاطعته سارة : كيف؟ اخبرني كيف اتخلص من مشاعر تتملك الانسان، تملكت منى كتملك السرطان من جسد الانسان..

انفجر المُضاد للحب قائلا:

انت تريد ان تبرئ نفسك اليس كذلك؟

ما قولك فى انك تملكت قلب احدهم وجعلته يقع هائما فى حب فتاة احبها وفضلها حتى على نفسه واراد ان يتزوجها وتقدم لها وكانت الفرحة تملأ ارجاء روحه وكيانه وكان يظن ايضا انها احبته فقد كانت ملهوفة على عقد القران وان يتم الزواج سريعا

وتمت مراسم الخطوبة والزواج ومرت اشهر جميلة شعر وانه يسكن الجنة كان سعيدا بها وتضاعف شعوره هذا حينما علم بانها تحمل داخل احشاءها طفل منه

ثم بدأت الحياة تتبدل حينما سمع مكالمه لها مع شخص غريب مجهول وهي تخبره بحملها، وانه هو والد هذا الطفل!!!!

ربما كانت الصدمة ستنال من هذا المُغفل، الا انه تمالك نفسه وظل مستمعا الى نهاية المكالمة وظهر امامها بشكلٍ فجائيٍ وتحدث معها بهدوء ليدرك حقيقة الامر

ومن خوفها الذي اعتلى وجهها وقلبها اخبرته

اخبرته انها احبت شخصا ولم يوافق اهلها على زواجهما ولكن حبهما لم يمنعهما من ان يتقابلا ويتحدثا، وفكرا سويا فى ان يضعا اهلها امام الامر الواقع

ووقعا فى ذلك الفعل المشين، وحينما اخبرت امها انهارت من البكاء والخوف واكدت عليها الا تتحدث بهذا الامر فلو علم اخيها وابيها سيقتلونها

سمعت لنصيحه امها وفى هذه الاثناء كانت تعرفت على زوجها ولكنها ظلت تقابل عشيقها وكانت قد اتخذت من الاول سِتارا لها ولافعالها لتستتر وراءه

وحدثت ما لم تكن تتوقع رغم اتخاذ جميع احتياطها،اكتشفت حملها اثناء خطبتها!!!

وارادت الاسراع من الزواج لتدارى عن فعلتها

"هنا رفع يديه ورفع صوته عاليا وكأنه يتحدث الى الله شاكرا "

لكنها اقدار الله حينما تقرر رفع الستر عن عبيده... اكتشف زوجها الحقيقة

ثم رمي يديه على الطاوله امامه، وتهدج صوته وكأنه يمنع اختلاط صوت البكاء بقوة شخصيته وقال:

وعلى الرغم من ذلك حبه غلبه ولم يرد اذيتها بل تركها ترحل عند اهلها وستر الامر

ما اقوالك ايها الحب على انك صببت نفسك داخل قلب احدهم لتمنع وصولك الى شريان واحد فقط لقلب الاخر؟

ما اقوالك فى تملكك من قلب احدا تجاه شخص وانت تعلم تمام العلم ان هذا الشخص موجه تجاه اخر؟؟

هاجمه الحب قائلا: ارجو منك الا تتحدث عن لسان احدا لربما كانت هناك احداثا انت تجهلها، المستمع لا يعلم كل الحقائق

هنا فجر وكيل النائب العام مفاجأة وقال بصوت عال: انا صاحب تلك المأساة العظمى!!

انا من غُفل ليستتروا وراء شرفي..

وصوت متقطع غيم بالحزن: انا ..انه أنا من احب وحصد خيانة

صمت الجميع بعد ما هبط علينا كلنا ذهول عظيم

حاول القاضي التخفيف عن الوضع المؤسف الذي ختم به وكيل النائب العام وقال له :

ماهي طلبات النيابة ؟

فرد الاخر عليه انه يريد ان توضع اقصي عقوبه على الحب

قرر القاضي انهاء الجلسه بقوله الحكم بعد المداولة...

انتفض جسدى بعد سماع كلمة الحاجب محكمة... وذهب القاضي ومستشاريه خارجا وقد ذهبت معهم عيني واذناى واعتقد قلبي ايضا

ذاع شغب داخل المحكمة واحاديث كثيرة ولا احد يسمع احد

وعند رؤية الحاجب مرة اخرى توجهت اليه الابصار حينما قال: محكمة

صمت الجميع منتظرا حكم القاضي، وقطع علينا جميعا تفكيرنا وشرود اذهاننا وحيرتنا قائلا :

بعد الاطلاع على اوراق القضية، والاستماع الى الشهود قررت محكمة جنايات العالم المثالى

ثم صمـــــــــــــــــــــــت لعدة ثواني

لا اعلم هل اصدر حكما على الحب؟

ام يكون على المجتمع؟

ام على قساوة البشر؟

ولو بيدى الامر لاعدمت افكارا وتقاليدا اودت بحياتنا الى الهاوية

ولكن لان القضية الان تخص المتهم المذكور وانه جزء لا يتجزأ من المشاعر الانسانية

حكمت المحكمة حضوريا...

بعدم الوثوق في الحب وحده حيث انه غير كامل الاهلية للتعاملات الانسانية، اذ لابد ان يستند الى باقي المشاعر التى تجعله فى مساره الصحيح

كالحكمة، العقل، التسامح، حب الغير، وجميع تلك المشاعر الانسانية التى تجعل الانسان انسانا ادميا

وسيخلى المتهم مسؤوليته من اى شخص سيتعامل معه بشكل شخصي أوحد دون الرجوع الى باقي المشاعر الانسانية والتى تُكَوِن حلقة عملاقة عظيمة

والتى تسبب خللا هائلا اذا فُقدت احدى تلك الحلقات

والان ...انت رددت سؤالك "ما ذنبي؟ اى ذنب اقترفت؟

دعني اخبرك ليس لديك ذنب فنحن من اخطأنا لاننا سلمناك قيادة مشاعرنا دون تدخل باقي الجهات التى كانت ستجعلك توازن الامور فى مسار صحيح

رفعت الجلسة

تحررت المحكمة من الجمع الغفير الذي ملأ مقاعدها

و انتظرت خارجا ورأيت القاضي الحكيم آتيا عليا.. تلجم لساني ولم اعرف بماذا أخبره، فأنا من الاساس كنت انتظره لاسأله ماذا كانت تعني نظراته التى احببتها وكدت اغرق داخلهما؟!

وجدته همس فى اذني قائلا لو لم اكن مدركا لكلامى وحكمى لوقعت فى حبك دون تفكير

لا اريد التعلق بكٍ يا من شاغلتني عيناكى طوال المحاكمة....

تمت ،،

نانسي سامي